# الفصل الأول

## أشوية.. نافذة العالم على أنتاركتيكا

- عادات عربية صميمة في أقصى جنوب العالم!!
- السنيور جيرمان.. يقيم مأدبة غداء عامرة على شرف العرب!
- كيف اصبح فندق "فيرناندیز" منتدى ثقافيا عربيا!!
- مشكلتنا ليست في إسهاماتنا الحضارية..بل كيف نقدمها للآخرين؟!
- مدني أمريكي يدير سفينة أبحاث روسية!!
- سافرت آلاف الأميال في عدة أيام لأجد السفينة كاملة العدد!!



obeikandl.com

obeikandl.com

# أغرب الرحلات.. وأغلاها!!

كنت أحسب فيما مضى أن زيارة أنتاركتيكا هو أمر مقصور على العلماء والخبراء الذين تنتدبهم دولهم، أو تلك الدول التي وضعت يدها على مساحات من أرض القارة وذلك بهدف العلم والبحث، إلى أن وصلت إلى مدينة "بونتا أريناس" أقصى جنوب تشيلي في رحلة سابقة طفت فيها بجميع دول أمريكا الجنوبية ودونتها في كتاب لا زال مخطوطاً بعنوان "إلى مغرب الشمس".

قابلت في مدينة "بونتا أريناس" ثريًا كوريًا يهوي المغامرة، والترحال ولديه من المال الوفير ما يحقق به متعته هذه بعكس كاتب السطور. كان الرجل يسألني في مطعم الفندق عن أغرب رحلاتي، فقلت له تلك التي لم تتحقق بعد وهي رحلة أنتاركتيكا التي مازالت حلمًا يداعب خيالي ولا سبيل إلى تحقيقه. فقال الرجل: لقد عدت للتو من القارة القطبية الجنوبية! دُهشت لقوله وسألته: كيف استطعت الوصول إلى هناك؟

قال: لقد ذهبت بواسطة طائرة خاصة حيث بت ليلة واحدة هناك ثم عدت وكان ذلك في الجزء الخاضع لتشيلي في القارة القطبية الجنوبية..

* وكم كلفتك هذه الرحلة والليلة التي قضيتها هناك؟

** كلفتني عشرة آلاف دولار!!

* عشرة آلاف دولار لقضاء ليلة واحدة؟! حقًا إنها أغلى ليلة وأغلى رحلة ربما في التاريخ..

إن هذا المبلغ يكفيني شهراً أطوف فيه أمريكا الجنوبية بأسرها من أدناها إلى أقصاها..

ولكن ألا توجد وسيلة أخرى أرخص من هذه الوسيلة؟

* نعم هناك وسيلة أخرى أرخص بكثير وتتم بواسطة السفن المُبحرة من مدينة أشوية الأرجنتينية، وليست لدي أية معلومات عنها، إذ أن هدفي كان أن أبيت ليلة واحدة في

القارة القطبية وهذا ما حدث إذ أن حكومة تشيلي أقامت فندقًا خاصًا في الجزء التابع لها من القارة للإقامة فيه لمثل هذه الرحلات المكلفة..

ما إن انتهى حديثي مع الثرى الكوري، حتى عقدت العزم على زيارة مدينة "أشوية" الأرجنتينية والتي لا تبعد كثيرًا عن مدينة "بونتا أريناس" التشيلية، وذلك للإعداد لرحلة "أنتاركتيكا".

وصلت مدينة "أشوية" الأرجنتينية بعد عدة أيام من لقائي بالثرى الكوري وعلمت أن هناك سفينة أبحاث روسية تعمل ما بين المدينة والجزء التابع للأرجنتين من القارة،وتحمل على متنها في رحلات متكررة باحثين ومصورين وفنانين وخبراء ومغامرين وأثرياء سئموا حياة المدن والمدنيَّة ويبحثون عن الطبيعة البكر على كوكب الأرض حتى ولو كانت شديدة القسوة كبرودة القارة العذراء!

وجدت أنه يستحيل على القيام برحلة على تلك السفينة أو غيرها في ذلك الوقت نظرًا لأنني كنت في ختام رحلتي الطويلة إلى قارة أمريكا اللاتينية، كما أنه لم يتبق لدى ما يكفي من مال ووقت لكي أنتظر أيامًا أو أسابيع عدة، فرصة قد تأتي وقد لا تأتي. ذلك لأنه ينبغي الحجز المسبق وبشهور عدة على مثل هذه الرحلات النادرة والقليلة.

أخذت جميع البيانات الخاصة بتلك الرحلة على أمل القيام بها في السنة التالية وفعلاً بعد عودتي إلى بلدي وقبل موعد بدء رحلات القارة القطبية الجنوبية بعدة شهور والتي تبدأ عادة من شهر أكتوبر وحتى نهاية فبراير من كل عام وهو فصل الصيف واعتدال المناخ نسبيًا في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية.

أنهيت إجراءات الحجز على السفينة الروسية "أكاديميك سيرجي فافيلوف" في رحلتها القادمة والتي سوف تغادر فيها مدينة "أشوية" في ٢٧ يناير وذلك من خلال

المحادثات الهاتفية ووسائل البث الهاتفي "الفاكس" وتم إرسال رقم بطاقة "فيزا" الخاصة بـي إلى الشـركة المنظمـة لتلـك الرحلـة لكـي تسـتوفي تكاليفهـا مقـدمًا وذلـك تلافيًـا لأيـة مفاجآت قد تحدث وهي كثيرًا ما تحدث لي أثناء أسفاري العديدة واكتسبت خبرة عميقة في كيفية تلافيها..!!

مرت شهور عدة ثم حان موعد الإجازة السنوية والتي أعددت برنامجها مسبقًا بحيث يكون على النحو التالي:

- مغادرة منطقة الخليج إلى مدينة نيويورك والتي يسهل فيها إعداد رحلة إلى منطقة البحر الكاريبي وزيارة كوبا بتوصية من سعادة المندوب الدائم لدولة قطر لدى هيئة الأمم المتحدة لمقابلة فيدل كاسترو.
- رحلة إلى بعض دول البحر الكاريبي ومن ضمنها كوبا

ثم بعد ذلك رحلة إلى البرازيل وأدغال الأمازون وهي المرة الرابعة التي أزور فيها تلك المناطق ووضعت عنها كتابًا مازال مخطوطًا بعنوان "في أدغال الأمازون" أرجو أن أتمكن من طباعته ونشره قريبا إن شاء الله

- وأخيرا إلى أقصى منطقة مأهولة جنوب العالم "مدينة أشوية"

أو نهاية العالم *"End of the world"* كما يطلقون عليها، مروراً بمدينة " بيونس أيرس" عاصمة الأرجنتين المتألقة.

لقد استطعت تنفيذ معظم بنود المخطط السابق ماعدا رحلة البحر الكاريبي وزيارة كوبا لمقابلة فيدل كاستروا بسبب حظ تعيس صادف وجودي في بنما وأنا أستعد لزيارة كوبا وهو خطف طائرة ركاب كوبية ومقتل وجرح عدد من ركابها وإلغاء الرحلة الوحيدة المتجهه إلى كوبا من بنما التي وصلتها خصيصًا لزيارة كوبا.

أخيراً وبعد أيام عدة قضيتها إما في جوف الطائرات أو في المطارات بدءاً من مدينة "مناوس" عاصمة ولاية الأمازون البرازيلية شمال قارة أمريكا اللاتينية إلى مدينة أشوية آخر العالم، وصلت في موعدي فجر يوم ٢٧ يناير والذي سوف تغادر فيه سفينة الأبحاث الروسية في السادسة مساءً.

حملت حقائبي واتجهت مباشرة إلى ميناء المدينة الذي دخلته دون عناء أو عقبات كما هو معهود عندنا في الدول العربية، ولم يستوقفني أحد أو يسألني أحد عن وجهتي رغم وجود بوابة دخول يقف بجانبها رجل أمن.

إتجهت مباشرة إلى حيث السفينة التي كانت تقف على أحد جانبي الرصيف الوحيد في الميناء، صعدت السلالم إلى السطح، إستوقفتني فتاة تعمل ساقية على السفينة وهي من لتوانيا قائلة: "إلى أين أنت ذاهب؟" فقلت لها: لقد حجزت على هذه الرحلة إلى قارة أنتاركتيكا لذا فأنا هنا الآن. قالت: "ولكنك جئت مبكراً جداً فموعد وصول الركاب هو الخامسة مساءً والساعة الآن السادسة صباحا.."

فقلت: نعم أعلم ذلك ولكنني وصلت للتو من مدينة بيونس أيرس وليس لدي مكان أنتظر فيه حتى موعد الإقلاع، وأنا الآن في غاية الإرهاق من السفر المتواصل الذي دام أياماً عدة.. فعلى الأقل دعيني أترك حقائبي عندكم هنا إلى أن يحين موعد تجمع الركاب، فلعلني أجد غرفة في أحد الفنادق أريح فيها جسدي المنهمك إلى حين المغادرة.

قالت: "أمهلني بضعة دقائق حتى أخبر مدير الرحلة بأمرك فهو الوحيد الذي يستطيع أن يقرر أمراً..

# الحظ العاثر في قاع العالم!!

سفينة الأبحاث الروسية هذه يديرها طاقم روسي، بدءاً من الربان وإنتهاءً بالساقية التي كانت أول من استقبلني من أفراد طاقمها، إلا أن مدير الرحلة الذي جاءت به تلك الساقية كان أمريكياً!، عَجبِتُ لهذه المفارقة، رجل مدني أمريكي يدير شئون سفينة روسية؟! لم أكن أتوقع هذا.. ففي العُرف البحري، الربان هو المسئول الأول عن السفينة بمن عليها، أما المسئول عن الركاب فهو عادة أحد أفراد الطاقم وهو يعد في المرتبة الرابعة أو الخامسة بعد الربان.

سألني الرجل عن اسمي ثم أخذ يبحث عنه في مجموعة أوراق كان يحملها، لم يجده أخذت أبحث معه، بل إنني أخذت أبحث عن الأسماء التي تنتهي لكلمة "أوف" فلعلهم كتبوه هكذا "عبد الرحمنوف محمودوف!!" على الطريقة الروسية، إلا أن "أوف" أيضاً لم تظهر في اسمي وخشيت أن تكون سببا في إلغاء رحلتي! وقلت للرجل:

- إنني حجزت على هذه الرحلةبالذات منذ ما يقارب السنة ولقد تكبدت مشقة السفر من قلب العالم النابض في منطقة الخليج العربي إلى نهاية العالم في "أشوية" لأكون في الموعد تماماً، وأنت تزعم الآن أن اسمي غير موجود وهذا يعني أنه ليس لدى حجز مؤكد؟!

- قال: إن الرحلة كاملة العدد حسب الكشف وإن اسمك لم يدرج فيه وأضاف ولكن لماذا لا تحاول مع وكيل الشركة المحلي وهو لا يبعد كثيراً من هنا.. وطلبت منه أن أترك حقائبي على السفينة إلى حيث أن انتهي من هذه المشكلة المفاجئة، إلا أنه رفض، فأخذت أجرر حقائبي معي إلى مكتب الوكيل المحلي للشركة..

وصلت المكتب واستقبلتني آنسة في الثلاثين من عمرها، قالت لي إنها هي صاحبة ومديرة الشركة المحلية المسئولة عن تنظيم مثل هذه الرحلات في الأرجنتين وأنها تتعاون مع شركة أمريكية مقرها في نيويورك، ويمثلها ذلك الأمريكي على السفينة، عرضت عليها مشكلتي، فقالت: إن المشكلة هي في تحصيل تكاليف الرحلة من شركة بطاقة "فيزا" ولقد اتصلنا بك مراراً وتكراراً لكي نخبرك بهذه المشكلة التي طرأت أخيرا، إلا أننا لم نستطع العثور عليك. قلت: نعم فقد كنت في جولة خارج البلاد، ولكنني تأكدت قبل السفر من المصرف الذي أصدر لي بطاقة "الفيزا الذهبية" كما يزعمون وطمأنوني أنني أستطيع استعمال تلك البطاقة اللعينة في أي مكان إنها ليست المرة الأولى التي تخذلني فيها هذه البطاقة فقد حدث هذا معي عدة مرات، إنه موقف محرج أن أقطع كل تلك المسافات وأصل إلى نهاية العالم لأجد أن الرحلة التي أعددت لها منذ سنة لم تتم بسبب موقف سخيف من شركة "فيزا" لا أعرف كنهه! قلت "ماريا" وكان هذا هو اسمها وما لعمل الآن يا ماريا؟

**قالت**: هل لديك بطاقة اخرى أو أنك ستقوم بتسديد تكاليف الرحلة نقداً؟

**قلت**: تعلمين يا ماريا أنه من الخطورة أن يحمل المسافر في دول أمريكا اللاتينية معه كمية من النقود لأنها حتماً سوف تُسرق منه، قالت: نعم أعلم ذلك ولكن هل لديك بطاقة أخرى إذن؟ فقلت: نعم لدي بطاقة "أمريكان اكسبرس" وبادرت بتسديد ثمن الرحلة بهذه البطاقة التي أنقذت الموقف.. وبقيت الآن المشكلة الأهم وهي الحصول على مكان شاغر على السفينة، إذ أن تسديد تكاليف الرحلة لا يعني أن المشكلة انتهت وهو مجرد تحسين موقف متردي، أو وضع المدير الإداري على السفينة أمام الأمر الواقع وكان هذا ما قصدته فعلاً.

قلت لماريا إنه بحكم عملي السابق على السفن، فإنني أعرف أن الربان لديه الصلاحية لحمل عدد من الركاب معه خلاف ما هو مدون في القائمة، ولقد حدث هذا معي عدة مرات أثناء أسفاري خاصة في أوروبا، وأنا لا اشترط غرفة معينة أو معاملة خاصة، بل إنني أستطيع الإلتحاق بالرحلة بصفتي ملاح أو أحد أفراد الطاقم مع التزامي بدفع تكاليفها.. قالت: إذن هيا بنا ننطلق إلى السفينة ونحاول أن نقنع الربان بوجهة نظرك هذه.

إتجهنا سويًا إلى السفينة، وطلبت مقابلة الربان الذي حضر بعد برهة وهو لا يتحدث سوى الروسية وشيئاً يسيراً من الإنجليزية، حاولت إقناعه بأخذي معه على السفينة خاصة ونحن أصحاب مهنة واحدة، ولكنه قال: صحيح إنني ربان السفينة وجميع الربابنة لهم سلطة وسيطرة على سفنهم، إلا هذه السفينة، فالسلطة والأمر بيد المدير الإداري للرحلة وهو الرجل الأمريكي الذي قابلته صباح هذا اليوم.

عدت مرة أخرى للمدير الإداري مع ماريا، وبيـنَّت له أنني قمت بتسديد تكاليف الرحلة، فقال: بالنسبة لي لا أستطيع حمل شخص واحد زيادة عن العدد المسموح به، ولكن لماذا لا تنتظر حتى الخامسة مساءً عندما يحضر الركاب فقد يتخلف منهم أحد؟

لم يكن هناك مفر من الإنتظار حتى الخامسة، رغم ما يعنيه هذا بالنسبة لي من إرهاق وقلق.. وجاءت الخامسة ووصل ركاب السفينة، وكلما جاء فوج منهم ازداد قلقي إلى أن اكتمل عددهم إلا واحدة منهم لم تصل معهم على نفس الطائرة القادمة من مدينة "بيونس أيرس" وكانت تلك آخر طائرة، إذن طالما أنها لم تصل فهذا يعني أنها لن تصل أبداً، هذا ما علقت به ماريا وأضاف الرجل الأمريكي قائلاً الآن لديك ما نسبته ٩٩٪ من فرصة السفر معنا و١٪ هي نسبة ضئيلة جداً لا وزن لها ولكن طبقاً للإجراءات المتبعة عادة

في مثل هذه الرحلات لا أستطيع أن أقبل بسفرك إلا قبل الإقلاع مباشرة وما عليك إلا الإنتظار حتى السادسة وهو أمر هين خاصة وأنك انتظرت منذ السادسة صباحا!

تجدد الأمل عندي وشعرت بالإنتعاش رغم الإرهاق الشديد لأنني لم أذق للنوم طعمًا عدة أيام قضيتها في سفر وارتحال من مطار إلى مطار وبقيت بجانب سلم السفينة وأنا على يقين أنها دقائق سوف تمر ومن ثم سوف أبحر إلى قاع العالم إلى تلك القارة التي استهوتني وملكت فؤادي وعقلي منذ أن قرأت عنها ولأول مرة وأنا في المرحلة الابتدائية.

أشاهد الربان وأفراد طاقمه وهم يتأكدون من معدات النجاة والسلامة على السطح، إن السفينة مجهزة تماماً لمثل هذه الرحلات الشاقة والخطرة وأخذت أفكر في الوضع الذي وصل إليه هذا الربان الروسي وسفينته، يا لجور الزمان، أصبح مجرد موظف عند بيروقراطي أمريكي يأتمر بأمره ولا حول له ولا قوة. وعادت بي الذاكرة إلى الماضي عندما كنت أشاهد السفن السوفيتية (سابقاً) في عقد السبعينات في موانئ العالم، أو في أعالي البحار، ورغم أنها كانت سفن تجارية، إلا أنها كانت ذات هيبة واحترام كالسفن الحربية وكان فيها إنضباط لا مثيل له في جميع السفن التجارية..

لقد اتخذ الركاب أماكنهم في السفينة، لا يهمني الآن من هم أو من أية أقطار جاءوا، كل ما يهمني هو ألا يصل ذلك، الراكب الأخير الذي تخلّف وبقي مكانه شاغراً ليكون لي لا محالة..

إنتبهت من سرحاني على صوت فرامل سيارة توقفت عند سلم السفينة تماماً ونزلت منها سيدة عجوز شمطاء تحمل حقيبة يدوية متوسطة الحجم في يدها هرولت مسرعاً ناحيتها لكي أساعدها على صعود السلالم، فحتماً هي أحد أفراد الطاقم جاءت متأخرة من جولة تسوق في سوق المدينة، الساعة السادسة تمامًا ذهبت أبحث عن المدير الإداري

لكي أخبره بأن موعد الرحيل قد أزف وأن الراكب الأخير رجلاً كان أم سيدة لم يصل بعد لأنه لا أمل في وصوله وآخر طائرة قد هبطت في مطار المدينة منذ أكثر من ساعتين، وليس هناك وسيلة أخرى سوى الطريق البري.

جاء الرجل وصافح السيدة التي بادرت بالإعتذار عن تأخرها، وسألها الرجل: لا تقولي أنكِ أنتِ فلانة الراكب الوحيد المتخلف عن الوصول ضمن القائمة؟

**قالت**: نعم أنا هي، لقد قررت الوصول إلى المدينة عن طريق البر خلاف جميع الركاب الذين وصلوا بالطائرة واحمد الله أنني وصلت قبل الإقلاع!!

بُهِت الرجل وأسقط في يدي وانتابني ضيق شديد.. قال الأمريكي إن هذا هو أغرب موقف شاهدته في حياتي، لا يمكن أن يكون هناك سوء حظ كهذا، ١٪ غلبت ٩٩٪!!

قلت للرجل دعك من هذا الآن، أنا موجود على ظهر السفينة وقد سدّدتُ تكاليف الرحلة ولا أمانع أن تضعني في أي مكان ولن أسمح لهذه البومة بأن تفسد علي رحلتي التي خططت لها منذ سنة تقريبًا وجئت من مكان قصي لكي أقوم بها. فما قولك؟!

قال الرجل: أرجو أن تعذرني، فلا أستطيع أبدًا أن أغادر بشخص واحد زيادة عن العدد المسموح به.. إستنجدت بالربان فزادني هماً على همي إذ قال لي أنا لا أستطيع أن أصنع لك شيئاً، فأنا والطاقم والسفينة تحت إمرة هذا الأمريكي!... **فقلت له**: بل إن روسيا بأسرها تحت إمرته وإمرة حكومته.. ألا سحقا لكم جميعاً.. لقد سافرت آلاف الأميال وجئت في موعدي تماما الذي حددته منذ سنة خلت والآن تقولون لي لا مكان لك على السفينة هكذا ببساطة؟!!

كانت "ماريا" الفتاة الأرجنتينية وصاحبة الشركة المحلية ومديرتها تسمع نقاشنا وعندما وجدت أنه لا فائدة من المحاولة قالت تعالى معي فسوف أجد لك مخرجاً.. فقلت

لها: أي مخرج يا ماريا والسفينة سوف تغادر بدوني؟ قالت: هناك أمل كبير فسوف تصل إلى الميناء سفينة أبحاث كندية بعد أسبوع لتغادر إلى أنتاركتيكا وأعدك أني سوف أجد لك مكاناً عليها..

لا أعرف كيف أفسر سوء الحظ العجيب هذا؟! هل هو بسبب تلك البطاقة التعيسة التي أضاعت على انتظار سنة كاملة؟، أم تلك العجوز الشمطاء التي ظهرت لي فجأة كعفريت من الجن قبل أن تقلع السفينة من مكانها؟!

تحاول ماريا أن تهوِّن علي الأمر، فأقول لها: إننا نحن معشر المسلمون نؤمن بالقضاء والقدر إيماناً كبيراً وما حصل معي اليوم قد يكون فيه نفعاً لي أو اتقاء لشر قد يصيبني.. هذا هو تفسيرنا لأحداث كهذه.. ونحمد الله على كل حال في السراء والضراء.. ولكن رغم ذلك لا يستطيع المرء أن يتمالك غضبه في مثل هذه الأحوال.. فإذا خرج الإنسان من بيته قاصدا المطار للسفر مثلاً ووجد أن حجزه المؤكد قد أُلغى وأُلغيت معه رحلته برمتها وطُلب منه العودة إلى منزله مرة أخرى إلى أن يحين موعد الرحلة التالية بعد أسبوع مثلاً. فإنه سوف يغضب بلا شك مهما كانت لديه القدرة على تمالك أعصابه وكتمان غضبه، فكيف بشخص مثلي حجز لرحلة كهذه منذ سنة وغادر بلده وقطع آلاف الأميال ثم يفاجأ بمثل هذا الموقف؟!

أخذتني ماريا إلى مكتبها القريب من الميناء، وأخذت تهاتف عدة فنادق ولم تجد في أي منها غرفة شاغرة، ثم عرضت عليّ إن كنت لا أمانع المبيت في مسكن تديره سيدة عجوز ويقيم فيه عدد من عمال البناء، وهو أقل في مستواه من الفنادق ويطلقون عليه بالأسبانية "رزدنسيا" وهو على شاكلة ما يُعرف في بعض الدول العربية باسن "بنسيون" فقلت لها: إن التعب قد أخذ مني كل مأخذ، وإن لم تجدي لي مكاناً أبيت فيه، فإنني قطعًا سوف أبيت في أية حديقة أو كنيسة على عهدي أيام الصعلكة والتسكع في أرض الله الواسعة..

# في نزل فرناندیز..

أنهت ماريا محادثتها الهاتفية ثم قالت هيا بنا فقد عثرت لك على غرفة في نـُزل صغير يدعي " نـُزل فرناندیز"، وهو لا يبعد كثيراً من هنا.

إنطلقنا إلى " نـُزل فرناندیز" وهو على اسم العائلة المالكة للمنزل الذي تم تأجير بعض غُرفه للنزلاء من العمال والباحثين عن عمل والمغامرين وغيرهم من الذين يترددون على المدينة أو يمرون بها. سعر الغرفة فيه ٤٥ دولار لليلة الواحدة. وعمومًا فإن الأسعار في الأرجنتين أغلى من سائر دول أمريكا اللاتينية، وفندق كهذا لا يساوي – ربما – عشرة دولارات أو أقل في الأكوادور وبعض مدن بيروويوليفيا مثلاً والأرجنتين بصفة عامة أغلى من الدول العربية قاطبة في كل شيء، إلا بعض الصناعات أو المنتجات التي تشتهر بها.

الفندق عبارة عن منزل من طابقين، الطابق الأرضي ويتكون من صالة هي عبارة عن مطعم لتناول الوجبات وغُرف العائلة صاحبة الفندق والمطبخ والمخزن وبعض غُرف النزلاء، أما الطابق العلوي فيتكون من غُرف النزلاء التي لا تتجاوز الست غُرف وتتفاوت في أحجامها تبعاً لعدد الأسرة التي تحتويها .

أما الأسرة صاحبة الفندق فتتكون من السيدة الكبيرة "روزا فرناندیز" وهي عميدة العائلة وابنتها السيدة "غولرمينو" التي تجاوزت الأربعين وتعمل مُدرسة وابنتها الصغيرة حفيدة السيدة روزا، روزيتا التي لم تجاوز السادسة والابن الأكبر لويس ابن روزا وعدد آخر من أقربائهم .

أخذت ماريا تحدث الأسرة بالأسبانية عني وعن مشكلتي الغريبة وحظي العاثر الذي حرمني من زيارة أنتاركتيكا، بدت الحسرة في أعينهم ووجوهم وفهمت ذلك من حديثهم رغم جهلي به، إذ أن حصيلتي المتواضعة من اللغة الأسبانية هى باللهجة الفنزويلية البنمية

الكولومبية والتي تعلمتها من أهلها وتختلف كثيراً عن طريقة نُطق الأرجنتينيين لها حتى تبدو وكأنها لغة مختلفة تمامًا هي أقرب للإيطالية منها للأسبانية.

إستقبلتني السيدة روزا استقبالاً حاراً، وأخذتني إلى أفضل غرفة لديها كما فهمت من إشاراتها وحديثها معي الذي لم ينقطع رغم أنها تعلم أنني لا أفهم شيئا أدرت جهاز التدفئة، فرغم أنه موسم الصيف عندهم، إذ أن الصيف في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية يأتي بعكس النصف الشمالي، وأشهر الصيف هنا هي نوفمبر وديسمبر ويناير، إلا أن الجو في الخارج شديد البرودة وربما تدنت درجة الحرارة إلى ما دون الصفر وذلك نظراً للثلوج المتراكمة على قمم الجبال المحيطة بالمدينة والتي أشاهدها الآن من نافذة غرفتي المطلة على الشارع الرئيسي.

ودعتني ماريا على أمل الإتصال بي غداً لإعطائي فكرة مفصلة عن رحلات أنتاركتيكا التي تنظمها شركتها، وألقيت بجسدي المنهمك على الفراش وذهبت في نوم عميق .

الشمس هنا لا تغيب إلا سويعات قليلة نظراً لبعد المنطقة عن خط الاستواء حيث يستوي الليل بالنهار على مدار السنة، أما هنا فإن مدينة أشوية تقع على خطوط العرض العليا ولكن إلى الجنوب. خط الاستواء هو خط الصفر، ثم يزداد العرض إما شمالا أو جنوبا إلى أن يصل أقصى عرض إلى ٩٠ درجة عند القطبين الشمالي والجنوبي.

"أشوية" هي أقصى مدينة مأهولة جنوب الكرة الأرضية، وتقع في منطقة تسمى "تييرا دي الفويغو" وتعني أرض النار وهي عبارة عن مجموعة جزر ويطلق أهل المدينة على مدينتهم اسم "نهاية العالم" وهو اسم قديم أطلقه المكتشفون الأوائل الذين جابوا تلك المناطق النائية من العالم. وقد يبدوا الإسم واقعيًا على نحو ما ذلك لأن المدينة تقع في قاع الكرة الأرضية إلا أنه ربما لم يعد يحمل معنى حقيقيًا بعد الكشوفات الجغرافية، وبعد أن

أصبحت الكرة الأرضية بفضل الاتصالات كأنها قرية صغيرة ولكن حُب التباهي الذي جُبِلَ عليه أهل أمريكا الجنوبية، جعل لهذا الاسم وقعاً خاصاً.

استيقظت مبكراً بعد نوم عميق، على جلبة في الطابق الأرضي، نزلت إلى الصالة لأجد أمامي مائدة عامرة، أخذت السيدة روزا تشرح لي بكل ما أُوتيت من قدرة على استخدام يديها ورأسها، فهمت شيئا، إذ أن الحديث كان عن الطعام، إلا أنه قطعًا قد غابت عني أشياء لم أفهمها.

أنقذ الموقف وصول السيدة "غولرمينو" ابنة السيدة روزا، والتي بحكم عملها كمدرسة فإنها تعرف شيئـًا من الإنجليزية، أعادت السيدة روزا حديثها مرة اخرى إلى ابنتها ولكن بلا إشارات هذه المرة، ثم أخذت السيدة "غولرمينو" تشرح لي حديث أمها قائلة: "تقول والدتي إن ضيفاً عربياً جاءنا لأول مرة وهو أنت، فلم يسبق أن أقام هنا أو ربما حل بهذه المدينة زائر عربي قبلك وهي الآن تعاني من مشكلة توفير الطعام المناسب لك"، قلت لها طعامكم هو حل لي ماعدا ذلك الرجس وقصدت به الخنزير، أبعدوه عن ناظري فلا أطيق رؤيته.

كان هناك نزلاء من بوليفيا جاءوا للعمل في المشاريع الهندسية والإنشائية كعمال، إذ أن المدينة مُقبلة على مشاريع تنموية كبيرة، وهناك الكثير من الفنادق التي يتم إنشاؤها لإستيعاب الأعداد المتزايدة من السياح، وأيضاً الكثير من البيوت والمتاجر وغير ذلك من المشاريع. ولقد فتحت حكومة الرئيس "كارلوس منعِّم" رئيس الأرجنتين العربي الأصل الباب على مصراعيه للشركات الاستثمارية، كما قامت بتنفيذ سياسة الخصخصة رغم أن الرئيس مُنعِّم ينتمي إلى الحزب البيروني الذي يسير على نهج زعيم الأرجنتين الراحل

الجنرال "خوان بيرون" ذي النزعة الإشتراكية العمالية. ولقد وجدت تعلقاً شديداً بالرئيس منعم وسياساته الاقتصادية عند أهل أشوية وصوره في كل المنازل تقريباً.

كان اهتمام العائلة بي كبيراً، بل أنني أصبحت تقريباً واحداً منهم، أشاركهم طعامهم وأحاديثهم وزياراتهم العائلية. إذ أن المدينة صغيرة وليس فيها من وسائل التسلية الشيء الكثير، اللهم تلك البرامج السياحية حول الجزر والحدائق الطبيعية القريبة منها، وهي جولات قمت بها في الرحلة السابقة، ولا أجد رغبة في تكرارها خاصة وأن عقلي مشغول بالإبحار إلى أنتاركتيكا.

أفراد العائلة لا يودون مفارقتي، وكثيراً ما كنا نتبادل الحديث خاصة على مائدة العشاء، حيث ينضم إلينا سائر النزلاء فضولاً منهم لمعرفة عادات وتقاليد هذا العربي الغريب المقيم بينهم، وأصبح العشاء عبارة عن ندوة أقيمها كل ليلة أشرح فيها إسهامات العرب والمسلمين الحضارية في التاريخ الإنساني، وأستعين ببعض الكتب والصور التي جلبتها معي لمثل هذا الهدف.

نظراً لأنني سوف أقيم هنا في هذه المدينة بعض الوقت، فإنني طلبت من السيدة غولرمينو أن تدلني على صحيفة محلية أزورها. والاتصال بالصحف عادة وتقليد أقوم به عند زيارة كل بلد أو مدينة تقريباً وذلك لكي أشرح وجهة النظر العربية في الأحداث العالمية وخاصة تلك التي تقع في المنطقة العربية ولأن زياراتي وجولاتي هي عبارة عن رسالة تعريف بالإنجاز العظيم للحضارة الإسلامية.

دلتني السيدة غولرمينو على اسم جريدة يقيم صاحبها ورئيس تحريرها في مدينة أشوية، بينما توزع الجريدة في سائر مدن الأرجنتين خاصة في منطقة "بتغونيا" الجنوبية طلبت منها الإتصال بالرجل وتحديد موعد معه. فعلت من فورها، ولكن بقيت مشكلة

أخرى هي أن الرجل لا يتحدث سوى الأسبانية والسيدة لا تستطيع القيام بعبء الترجمة لأنها تتطلب مهارة وإلمام باللغتين في نفس الوقت. ولكنها استعانت بمن يجيد اللغة الإنجليزية والذي تطوع بمرافقتي إلى منزل صاحب ورئيس تحرير جريدة "لافوز فو يغيانا" بعد تحديد موعد معه.

obeikandl.com

# في منزل السنيور جيرمان..

انطلقنا إلى منزل السنيور "جيرمان" صاحب ورئيس تحرير جريدة "لافوز فريغيانا" والذي يقع على مشارف غابة صغيرة فوق مرتفعات جبلية طالتها يد المدنية والتعمير منزل خشبي أنيق تحيط به الأشجار الباسقة من كل صوب وعلى مدخله نبتت بعض الزهور الجميلة وبتنسيق بديع. كان الرجل في انتظارنا خارج المنزل يترقب وصولنا، وما أن ترجلنا من السيارة حتى أقبل علينا مرحباً بشدة ومعانقاً على عادة أهل أمريكا اللاتينية وهو تعبير يدل على الود والترحيب الشديد والاشتياق.

حملت معي كالعادة مجموعة من المطبوعات والصور والمصِّورة (الكاميرا) وجهاز تسجيل ودفتر تسجيل الملاحظات. الرجل في العقد السادس من العمر وزوجته تصغره بعدد من السنين، ولهما عدد من الأبناء يشغلون مناصب سياسية رفيعة في العاصمة. رغم أنهما لا يتحدثان سوى الأسبانية، إلا أنني قضيت معهما وبرفقة المترجم قرابة الثلاث ساعات كانت كلها مرحا ومداعبات، إذ أنهما يتمتعان بروح الدعابة والمرح. وأصرّا على إستضافتي في منزلهما مدة إقامتي في المدينة، وأخذني الرجل إلى الطابق العلوي في المنزل لكي يُريني عددا من الغرف الشاغرة وقال لي اختر أيا منها، فإنني أقيم مع زوجتي في الطابق الأرضي ولا يُقيم معنا أحد من الأبناء وأنت الآن بمثابة ابن لنا أنسنا إليك و إلى حديثك الشيق وهي المرة الأولى التي نلتقي فيها بعربي جاءنا من "آخر العالم"!.

شكرت الرجل على دعوته لإستضافتي، واستطعت التملص منها بصعوبة ولكن على وعد بأن ألبي دعوته للغداء غدا والتي أصر عليها إصراراً شديداً.

ذهبت في اليوم التالي إلى منزل السنيور جيرمان مع مرافقي الأرجنتيني من أصل أسكتلندي، استقبلنا الرجل بترحاب أشد وكان قد دعا العديد من أقاربه وأصدقائه، وقام على عادة العرب بذبح جدي وجاء به حينئذ، إذ أخذ يشويه على نار هادئة في حديقة

المنـزل، وهـم في هـذا النـوع مـن الشـواء سـادة لا يـدانيهم فيـه سـوى جيرانهـم أهـل تشـيلي وطـريقتهم هـي أنهـم يفلطحـون الجـدي بعـد أن ينزعـوا منـه رأسـه ثـم يصـلبوه قائمـاً ممـداً فيصطلي بحـرارة الجمـر دون أن يمسه، ويطلقـون على هذا النـوع مـن الشـواء اسم "أسـادور" وهو من أشهر المأكولات والأطبـاق الشعبية في الأرجنتين وتشيلي والبرازيل. بل إنه الطبق المفضل لأغنيائهم قبل فقرائهم، بعكس سكان كولومبيا وفنزويلا الذين يعتبرون لحم الضأن طعام الفقراء وذلك لوفرته عندهم ورخص أسعاره!

السنيور "جيرمان" وأقاربه وأصدقاؤه في غاية السعادة، ولقد اتخذنا من صالة الجلوس في المنزل مجلسنا، بينما السنيور جيرمان وعدد من أصدقائه يتابعون الجدي وهو يصطلي بحـرارة الجمـر المتقـد في حديقـة المنـزل، أدرت لهـم بعضـاً مـن أشـرطة الأغـاني والموسـيقى العربية، كما عرضت عليهم "فيلماً" وثائقيـاً عن نهضة قطر نال إعجابهم الشديد لما حوى من معالم حضارية، ونهضة عمرانية، والأهم من ذلك كله الأمن والرخاء اللذان ينعم فيهما المواطن القطري وسائر المقيمين في دولة قطر ودول مجلس التعاون كذلك .

كان من بين ضيوف السنيور جيرمان، شاعر بتغونيا الأكبر السنيور "بابلو رودريكس" الذي ارتجل قصيدة عصماء باللغة الأسبانية، ألقاها ترحيباً بي وبالطبع لم أفهم منها شيئاً، كما أهداني أحد دواوينه، وأصر هو وجميع الحاضرين على ارتداء الملابس العربية التي أحضرتها معي بناء على طلبهم، وذلك إعجاباً بها واحتراما لأهلها، ولقد وعد صاحب الجريدة بكتابة العديد من المقالات الصحفية يشرح فيها للرأي العام الأرجنتيني أخلاق العـرب وعـاداتهم وانجـازاتهم الحضـارية وسياسـة السـلام وحمايـة البيئـة الـتي تنتهجهـا حكومـات وشـعوب منطقـة الخليـج العربـي، وضـرب لـذلك مـثلاً هـو تجشـمي عنـاء السـفر للوصـول إلى القـارة القطبيـة الجنوبيـة بعـد غابـات الأمـازون إيمانـاً بـذلك الهـدف العظيـم السلام وحماية البيئة على كوكب الأرض.

جاء الشواء من حديقة المنزل ساخناً وامتلأت المائدة بما لذ وطاب من أنواع الطعام وأخذ مضيفنا كعادة العرب ينتقي لي أفضل قطع الشواء ويضعها في طبقي، ويقسم أيماناً غليظة بأن أتناول المزيد كلما فرغ الطبق الذي أمامي، وزوجته تناولني أنواعاً أخرى من الطعام وإنتقاء أفضل الطعام ووضعه في طبق الضيف أو في متناول يده، هي عادة خليجية وعربية صميمة، لا أعرف كيف وصلت إليهم، سألتهم عنها، قالوا وجدنا أباءَنا عليها، فقلت لهم ربما اقتسبوها من معلميهم الأوائل وهم العرب.

تشعب بنا الحديث في مواضيع شتى، وبعد الإنتهاء من تناول طعام الغداء رفعُت المائدة، وتناولت سيدة من الضيوف الغيتار وأخذت تغني أغان شعبية، ثم ارتدت زوجة السنيور جيرمان، السيدة نورما غطاء الرأس العربي المسمى بـ "الشيلة" والذي يستخدم كثيراً في منطقة الخليج العربي. ثم تناولت دفاً وأخذت تقرع عليه وهي تغني أغان شعبية قديمة كان يغنيها سكان الأرض الأصليون قبل وصول الأوروبيين وإستيطانهم في تلك البقاع.

لازال السنيور جيرمان وزوجته يلحان عليّ لكي أحضر حقائبي وأقيم عندهم إلى أن يحين موعد سفري إلى أنتاركتيكا، ولكنني إعتذرت بكل أدب وشكرتهما على دعوتهما الكريمة، وبعد ما يأسا قالا: في المرة القادمة عندما تصل إلى مدينة أشوية لأي سبب من الأسباب، فقط خذ سيارة أجرة ثم احضر إلى هنا مباشرة، هناك غرفة في الطابق العلوي ستكون تحت تصرفك.

دعوة كريمة من قوم كرام، لقد عوضني كرم هذه العائلة اللطيفة، الإحباط والضجر الذي أصابني جراء تأخير رحلتي إلى أنتاركتيكا. ولقد بر الرجل بوعده إذ ما إن عدت إلى بلدي بعد ذلك حتى أرسل إليَّ بمجموعة من المقالات الصحفية كتبها عن رحلتي وعن بلدي وعن العرب والحضارة الإسلامية وإنجازاتها الخالدة.